لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء العاشر : تفسير الآيات ٦٧ – ٧٢ من سورة التوبة

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آجمعين.

هذا هو لقاؤنا العاشر من سلسلة لقاءات هذا الشهر المبارك لهذا العام المبارك ١٤٣٤، أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعله شهر خير وبركة علينا وعلى المسلمين، وأن يجمع كلمة المسلمين، وأن يجنبهم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفي يومنا هذا المبارك –يوم الجمعة– ستكون الآيات التي نتكلم عنها تؤيد ما افتتحناه وما ابتدأناه في هذا الشهر من الكلام عن **أهمية الإيمان والخوف من ضده.**

الإيمان النعمة العظيمة التي وهبها الله عزّ وجلّ لعبيده، ودلّهم على طريقها، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب من أجل أن يؤمنوا إيماناً يحملهم على الإحسان، ويتحصل لهم من وراء هذا الإيمان الأمن في الأوطان، والسلامة في الأبدان، وهذا ما يسعى إليه كل الخلق، ويطمح إليه الأفراد والجماعات على مرّ العصور.

فالإيمان هو سبيل الطمأنينة طريق الرخاء والاستقرار، به تعمّ البركات، وبه تصلح الأحوال، وتهنأ الحياة، فإذا حصل الإيمان، وحصل العمل الصالح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وُجِدَ الأمن بالإيمان، فتتم النعمة، وتتجلى الكرامة، وتتحقق الحياة الهادئة.

وقد درسنا فيما درسنا عن الإيمان قول إبراهيم عليه السلام لما كانوا يخوفوه بغير الله ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾[1] فكان الجواب من الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[2] آمنوا واستقرّت قلوبهم على التوحيد، هؤلاء يستحقّون الأمن، يستحقّون الرحمة.

[1] الأنعام: ٨١

[2] الأنعام: ٨٢

والذين أظهروا الإيمان وأبطنوا خلافه، كانوا سبباً في زعزعة الأمن في كل مكان، وسيتبيّن لنا إن شاء الله من خلال الآيات التي سنقرأها ونتدارسها اليوم كيف هذا الأمر واضح جليّ بيّن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ التوبة: ٦٧ – ٧٢

يقول تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ ﴾ماذا يفعلون؟

١. يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ

٢. وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ

٣. وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ

وصفهم الله بهذه الأفعال ثم أخبرنا لماذا لم يوفق هؤلاء؟ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ حكم عليهم بالفسق.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ هذه صفاتهم هذه عقوبتهم، وهذه العقوبة ليسوا فيها منفردين إنما حالهم مثل حال من قبلهم :

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وأنتم يا أيها المنافقون مثلهم، فعلتم مثل فعلهم وجزاؤكم مثل جزاؤهم.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ هذه الأخبار ألم تأتيكم وكانت مشهورة يتواتر الناس نقلها عن هؤلاء الأقوام الذين عاقبهم الله (قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات) كل هؤلاء كانوا قبلكم وأتت أخبارهم إليكم وكيف أهلكهم الله.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ –في مقابل هؤلاء–

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ –كيف يعاملهم الله؟– سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ –هنا في الدنيا–.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إذن في الدنيا هذه أوصافهم وهذه أفعالهم، في الآخرة:

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ -ماوصفها؟- تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ إذن هذه الآيات فيها خبر عن المؤمنين ووصفهم يقابل خبر عن المنافقين ووصفهم.

وإذا سمعنا أمس في الآيات التي درسناها من سورة الأنفال الأخبار عن المؤمنين، وكانت سورة الأنفال في وصف أحوالهم وكمالهم وكيف كانوا من جهة أفعالهم كانت التوبة هي السورة الفاضحة للمنافقين.

فما أحسن هذه الحال: أن تقرأ عن صفات المؤمنين في الأنفال، فترغب فيها، وتقرأ عن صفات المنافقين في التوبة فتبغضها وتتقرقب إلى الله بالبعد عنها، ثم إن القرآن مثاني، يوصف المؤمنين ويوصف أمامهم ضدهم من الكفار والمنافقين، لكن في سور يأتي الأمر بالتفصيل، يعني في الأنفال بالتفصيل صفات المؤمنين والأوامر الموجّه لهم وإن ذُكر خلافهم، وفي التوبة صفات المنافقين وإن ذُكر المؤمنين.

فكنا سمعنا أمس في الأنفال الأوامر من الله والخطاب للمؤمنين أن يطيعوا الله ويطيعوا رسوله، وأن يستجيبوا وأن لا يخونوا، وسمعنا أنه علينا أن نكون من المتقين، واليوم أتتنا الأخبار عن المنافقين.

كيف تكون علاقتهم مع بعضهم؟ وما هي صفاتهم؟

نتعلم الشرّ ليس للشرّ إنما لنتوقّاه، وهذا كموقف حذيفة رضي الله عنه لما كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرّ والناس كانوا يسألون النبي عن الخير؛ لكي يحذر، والله من رحمته بنا وصف لنا طريق الخير لنسير فيه، وطريق الشر لنميزه فنبتعد عنه.

نبدأ في فهم الآيات بالتفصيل من كلام الشيخ السعدي:

يقول: يقول تعالى: **{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ } لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.**

يعني إذا كان المنافقين بعضهم من بعض فأكيد المؤمنين ليس لهم علاقة وليس بينهم وبينهم حالة من التولّي، يعني ليس لهم في ولايتهم شيء.

ثم ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، إذن المنافقون والمنافقات الذكر والأنثى منهم بعضهم من بعض لما نقرأ في صفات المؤمنين بعضهم من بعض، والمنافقين والمنافقات بعضهم من بعض يعني متشابهين في النفاق كتشابه الشيء الواحد بعضهم من بعض، معنى ذلك كأنهم قطعة واحده متشابهين وهذا فيه قطع لولايتهم للمؤمنين.

ما صفتهم ؟ يقول الشيخ : **لا يخرج منه صغير ولا كبير، هذه الصفات:**

١- فقال: **{يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ}** بكل وسيلة يمكنهم أن يأمرون بها، ما هو المنكر؟ **وهو الكفر والفسوق والعصيان.** فأي منادي ينادي في أي مكان ينادي الناس للكفر والفسوق والعصيان فهو ممن يأمر بالمنكر ومن ثم حقق الصفة الأولى من صفات المنافقين.

٢- **{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ} وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة.** وعلينا أن نفهم الأمر بهذا الترتيب، يعني إذا سمعت منادٍ ينادي إلى الكفر أو الفسوق أو إلى العصيان –إلى معصية الله– وإلى الخروج عن طاعة الله، أو والعياذ بالله يصل إلى حد ينادي بالكفر، وإذا سمعته في مقابل هذا يستهزئ بالإيمان، **ينهى عن الإيمان.**

وينهى عن الأخلاق الفاضلة المبنية على الإيمان فوجدته يشنع على الأوامر الشرعية التي تضبط لك الأخلاق فيشنع على الحياء وأسبابه، ووسائله الموصلة له، يشنّع على التزامك بالآداب الشرعية، كالأكل باليمين، هذا يعني من الأمثلة اليسيرة التي تُضرب وإلا الأمر أعظم في نهيهم عن الأخلاق الفاضلة المبنية على الإيمان.

والأعمال الصالحة التي هي أيضاً مبنية على الإيمان.

والآداب الحسنة التي أدّبنا بها الله عزّ وجلّ وأمرنا بها على لسان رسوله، فهذه الأخلاق والأعمال والآداب ليست بصالحة ولا فاضلة ولا حسنة إلا اذا كانت مبنية على الإيمان وكانت من مصدر الإيمان.

لو سمعنا هؤلاء الذين رأيناهم يأمرون بالفسق والعصيان وينهون عن الإيمان لو سمعناهم ذات يوم يدعون الناس إلى شيء من الأخلاق، يطالبون الناس بلين الكلام، يطالبونهم بالاحترام للكبير، فهل هذا فيه خروج عن وصفهم في أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؟ فكأني أسمعهم الآن يأمرون بالمعروف، كأني أسمعهم يأمرون بأشياء طيبة، فإننا أُمرنا بلين الكلام، وأُمرنا باحترام الكبير وأُمرنا بالشفقة وأُمرنا بالرحمة.

نقول: لا، هذا يبقيهم على وصفهم، إلا أن ما تسمعه يأمرون به فإنه لابد أن يكون موافق لهواهم، ومِن هواهم جبلتهم الطبيعية، فإنّ من الجبلّة الطبيعية حبّ الرحمة، من الجبلّة الإنسانية الطبيعية حب لين الكلام، فهذا هواهم جبلتهم، هنا اتفقت جبلتهم مع هواهم، فلما تسمعهم يقولون هذا الكلام لا تغتر وتظن أنهم يأمرون بالمعروف.

إنّ المعروف هو كل عمل أمرت به الشريعة مبني على الإيمان، لابد أن يكون مبني على الإيمان، فالأخلاق الفاضلة عندنا والأعمال الصالحة عندنا والآداب الحسنة عندنا هي ماتكون مبنية على الإيمان، وأنت أينما تلفت وجدت مثل هؤلاء، وكان أول الأمر أصواتهم شاذة تبغضها، كل نفس أبيَّة، ويرفضها كل صاحب شهامة وكرامة، لكن اليوم مع اعتمادهم أسلوب تلبيس الحق بالباطل أصبح الناس يسمعون الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ويستسيغونه!

ولذلك لما نصل إلى الآيات التي فيها وصف المؤمنين نرى ما هو دورنا تجاه هذه الظواهر التي طمّت وعمّت في الإعلام والناس تعرّضوا لها بصور شتى.

٣- **{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.** وهذه صفة عجيبة من صفات المنافقين، فإن أهل النفاق لهم مع الإنفاق قصة، أهل النفاق أعداء للإنفاق! ولما نعلم أنّ كلمة "صدقة" التي أصلها الصدق، فالصدقة تُبرهنُ على صدقِ إيمان المؤمن، ولكي تتأكد من هذا المعنى نعود إلى كلمة صدق، الصدقة أتت من صدق، وأصل مادة الصدق هي القوة، فإذن الصدقة تدل على قوة

الإيمان، فلذلك تجد كثيرًا في القرآن اقتران أمر الإيمان بأمر الصدقة، فأنت أيها المؤمن تبرهن على قوة إيمانك بحرصك على الإنفاق، وهذا المنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف يقبض يده عن طرق الإحسان للخلق، لكننا نسمع أنه تبرّع هنا أو خرج هنا لعمل خيري.

لازلنا نقول لا يغرك مثل هذه الأعمال، فإنها توافق الهوى، وهناك من البرامج التي يجمعون بها تبرعات ويستعطفون بها قلوب الخلق، ويبرزون بها في المجتمع، تراها نفاق في نفاق! وترى حرصهم على أن يظهروا بأي صورة كانت يُدلِّل لك كيف أن هؤلاء يقبضون أيديهم، والله عزّ وجلّ يصف لنا صفة رابعة من صفاتهم :

٤- **أنهم نسوا الله، فلا يذكرونه إلا قليلاً**، ومن صفات المؤمنين الذين يؤمنون بعظمة الله وبكماله وبجلاله وبلقائه، ويؤمنون بالأخبار التي أتت عنه، يذكرون الله كثيرًا، وذكرهم لله سواء كان في أذكار الصباح و المساء أو أذكار بعد الصلاة سواء كانت الأذكار مطلقة أو مقيدة، كلهم هذا وهم في طمع أن يذكرهم الله! كل هذا الذكر تعظيمًا لله وطمعًا في أن يذكرهم الله العظيم، فتسعد دنياهم، فلا إله إلا الله كم للذكر من مصالح!

فهؤلاء **نسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلا**، سواء هذا النسيان على لسانهم أو نسوا أن يقصدوه بأعمالهم، والمؤمن عكسهم قلبه شديد الذكرى لله، فإذا صنع شيء، قصد قلبه رضا الله، وألحّ قلبه ولسانه على الله بالقبول، وإذا عمل بيده شيء للمؤمنين يريد أن ينفق، نظر إلى يده وهي تعمل في سبيل الله فرجى الله بقلبه أن يحرمها على النار هي وسائر بدنه، إذا خبز بيده للمؤمنين، إذا عمل بيده للإنفاق على أهل الحاجة، نظر ليده وتمنى على الله أن تكون هذه الأعمال كفارات لأشياء بطشت بها يده فيما لا يرضى الله.

إنّ المؤمن دائم الذكر لربه بقلبه، منيب دائمًا إلى ربه، فيتقلّب بين رجاء وخوف، وبين حبّ وتعلّق، **وهؤلاء نسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلاً** -كما يقول الشيخ- **{فَنَسِيَهُمْ} من رحمته، فلا يوفقهم لخير** في الدنيا، فلا تجد أوقاتهم معمورة بالخيرات، تمرّ عليهم الأزمنة الفاضلة، بل عمرهم الشريف الذي هو رأس مالهم يمرّ فلا ترى أنهم يملؤونه بما يشرفهم وقت ما يلقون ربهم! والسبب أنهم ابتدؤوا نسوا الله فنسيهم، فلا يوفقهم لخير، فليس هناك في فكرهم شيء يجول غير هواهم! لكن أهل الإيمان الله عزّ

وجلّ يفتح لهم أبواباً ينتفعون بها وهم في أضيق المواقف، ترى الرجل من أهل الإيمان يمرض على سريره فيكون مغتنمًا مرضه هذا في طاعة الله، غير أنه يحتسب آلامه على الله فإنك تراه يعظ من يزوره، يعظ المريض الذي بجانبه، يعظ الممرض الذي يمرضه، تجده يذكر الله ذكرًا يجعل الناس يذكرون الله معه، فترى هؤلاء من ذكرهم لله ذكّروا غيرهم، المنافقين نسوا الله فنسيهم من رحمته ولا يوفقهم لخير، وينتهي الأمر أنه **ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.** وهم يستحقون ذلك.

وأما ما نعتقده في قول الله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ فإننا نعتقد أن هذه الصفة من الصفات المقيدة، **ومعناه في حقّ الله:** الترك عن قصد وعمد، فإن النسيان في لغة العرب له معنيين:

١) النسيان بمعنى: الذهول عن الشيء، وهذا لا يكون في حقّ الله، ولا يوصف الله به ولا يقصد به هنا، ولا يكون هذا هو مفهوم الآية.

٢) المعنى الثاني في لغة العرب النسيان بمعنى: الترك عن عمد عقوبة، وهو صفة مقيدة في حق الله، فإن الله ينسى من نسيه، يتركه عمدًا عقوبة له.

يحكم عليهم الله يقول : **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} حصل الفسق فيهم**، الضمير المنفصل هم يدل على الحصر، **حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم**، يعني خروجهم عن الطريق أعظم من خروج غيرهم، فالإنسان المؤمن قد يرتكب معاصي، لكن لا يكون حاله مثل حالهم من جهة أن الإيمان لم يدخل إلى قلوبهم، بل يأمرون بالمنكر، يعني الإنسان المؤمن ممكن أن يقع في معصية لكن لا يصل لأن يعتقد أن المنكر هو المعروف والمعروف هو المنكر، فيدعو إليه.

يقول : **بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم،** – فظهر من العذاب أن حالهم مختلفة –.

وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد. والمعنى : إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في الفسق، وهم بين المؤمنين موجودين، والاحتراز منهم أمر صعب لأنهم يختلطون بالناس اختلاطاً يشق معه التفريق إلا أن الصفات هي التي تبين لك.

{وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} هذه العقوبة تبيّن أنهم أهل فسق عظيم.

جمع المنافقين والكفار في النار، واللعنة والخلود في ذلك المنافقين والمنافقات والكفار وعدهم الله نار جهنم، هي حسبهم، ولعنهم الله، ولهم عذاب عظيم، إذن الجمع واللعنة والخلود، جمع المنافقين والكفار في النار، وكانوا خالدين فيها، السبب: **لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة للّه ورسوله، والكفر بآياته.** إلا أن المنافقين أبطنوا الكفر، والكافرين أظهروه.

يقول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة. كأن في هذا دعوة لهم للعود.

{قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} أي: قرى قوم لوط. وسمُّوا بهذا الاسم –كما هو معلوم– لأنهم ائتفكوا الحال، يعني المؤتفكات هذه أتت من الإفك، والإفك ألا وهو الكذب، والكذب والمقصود في قوم لوط قلب الحقائق، ائتفكت بهم يعني انقلبت بهم، هم قلبوا الحالة الإنسانية فالله عزّ وجلّ قلب عليهم ديارهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل.

فكلهم {أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالحق الواضح الجليّ، المبيّن لحقائق الأشياء، –فماذا فعلوا؟– **فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص اللّه علينا،** كلٌّ في موطنه، يعني تقرأ في قوم نوح من الله عليهم بنعم منها تطويل أعمارهم لكنهم ما استجابوا فأهلكهم الله بالطوفان. عاد قوم هود أنعم عليهم

بنعم منها مزيد قوتهم، ثم ما استجابوا فأُهلكوا بالريح، وثمود وهم قوم صالح أنعم عليهم منها القصور والدور العظيمة ومع ذلك ما استجابوا فأُهلكوا بالرجفة، وهكذا.

وأنتم لو قرأتم سورة يونس وسورة هود سترون تفصيل لهؤلاء الأقوام وكيف أعطاهم الله وكيف فعلوا هم.

يقول:

فكلهم {أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أي: بالحق الواضح الجلي، المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص اللّه علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، -ماذا فعلتم؟-

الأمر الأول: **استمتعتم بخلاقكم**، وهنا نلاحظ أن الشيخ قدّم وأخّر، يعني في الآية {كالذين من قبلكم} الذين هم الأقوام {كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم} ويقول الله عزّ وجلّ بعدها: {ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم}، فلما شرح الشيخ بيّن الذين من قبل، وأن هؤلاء هم الذين قيل في حقهم أنهم استمتعوا بخلاقهم.

فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، ما خلاقكم؟ أي: **بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه**، لكم نصيب من الدنيا كُتب لكم والناس كلهم كُتب لهم نصيب من الدنيا ، ماذا كان الواجب بنصيب من الدنيا؟ تنتفع به، في أي شيء؟ في أن تجعله طريق يوصلك إلى الله، لكن هم ماذا فعلوا؟ استمتعوا بخلاقهم يعني نصيبهم من الدنيا استمتاع على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، ما وصلتم به إلى الله، هذا الأمر الأول، أعرضتم عن ما يجب عليكم أن تنتفعوا به، هذه القوة التي أعطاكم في أبدانكم، هذه الدور، هذه الأموال، هؤلاء النساء، كان المفروض تستخدموهم للوصول. بل ماذا فعلتم؟ قال:

واستعنتم به على معاصي الله، يعني هذا الخلاق، هذا النصيب استعنتم به على معاصي الله، فقواكم وأموالكم ودوركم كلها كانت تزيد بُعدًا عن الله، وأنتم تتعاملون مع هذه يقول: **ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم** يعني كل همكم وإرادتكم نفس النعمة وليس رضى المنعم، وليس اغتنام النعمة فيما يوصل إلى رضى الله، فكان هذا الخلاق عليكم وليس لكم، فاستعملتموه فيما يوصلكم إلى الهلاك.

والخلاق هو الحظ –نصيب–، فهم عجّلوا حظّهم في دنياهم وتركوا باب الأخرة، هذا ما فعلوه، فاستمتعتم أنتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم، ولاحظوا الذين من قبلنا ومن قبلهم ماذا كان حالهم؟ الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا، فاستمتعوا بخلاقهم، هم فعلوا هذا الشيء، انتفعوا بنصيبهم فقط للدنيا، والمنافقين ماذا فعلوا أيضا؟ فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم، كما فعل الذين من قبلكم.

الأمر الثاني: **{وخضتم كالذي خاضوا}، أي: وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق**، يعني لما كان همكم الدنيا واللذات أي أحد يأتي يأمركم بخلافه تخوضون وتجادلون ليبقى حظكم كما هو.

فهذه أعمالهم وعلومهم، أعمالهم: **استمتاع بالخلاق**، وعلومهم: **خوض بالباطل**، استمتعوا وخاضوا، من جهة العمل استمتعوا باللذات، من جهة العلم يخوضون بالباطل لا يقبلون الحق.

لذلك فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعلهم.

هذه الدنيا ما علاقتي بها مادام ليس مطلوب منا أن نفعل هذا الفعل –نستمتع بخلاقنا من جهة الدنيا واللذائذ ولا نخوض في الباطل– يقول: **وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبهم وما خولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة اللّه**، إذن نصيبك من الدنيا تأخذه الذي كتب الله لك لكن من أجل أن تستعين به على طاعة الله.

وعلى ذلك : قدمك تسير بها لطاعته، يدك تبطش بها لمرضاته، لسانك تنطق به بالحق والخير والطيب من الكلام، عينك تبصر بها ما يزيدك إيمان، أذنك تسمع بها ما ينفعك من كلام الرحمن، وهكذا. هذا من جهة العمل، نصيبك وما خولت من الدنيا فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله.

وأما علومهم فهي علوم الرسل، ليس خوض بالباطل ونظريات، وكل ما تكلم أحد بشيء من الباطل استقبلناه، علوم المؤمنين علوم الرسل، فلا تجعل قلبك مرتعاً لكل ما هبّ ودبّ، الذي تستقبله هو علم الرسل.

وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، فتقرأ القرآن وتقرأ السنة وتفهم القرآن والسنة على فهم من سلفك، وتسأل في القرآن وتبحث وتجد من يرشدك، والحمدلله كتب أهل العلم متوافرة والعلم قريب والله قد أورثنا بفضله علوم من قبلنا، وخلّص لنا هذه العلوم من الباطل، وهو أعلم بضعفنا وأعلم بالفتن التي تحيط بنا، فهذا كله من فضله سبحانه أن جمع لنا الخيرات، فتوفرت لنا الكتب، وتوفر لنا منهج صافي، فبقي أن تكون علومنا بعيدة عن التخليط، ولذلك في كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخاري)، مطلوب منا أن نعتصم بالكتاب والسنة، في باب الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم. وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} .. نقل عن ابن عون هذا الكلام الذي هو منهجنا الذي نحب أن يكون طريق ننشره بيننا وبين بعض ونرجو من الله أن يثبتنا عليه.

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ : "ثَلاَثٌ أُحِبُّهُنَّ لِنَفْسِي وَلإِخْوَانِي :

١) هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَيَسْأَلُوا عَنْهَا

٢) وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا عَنْهُ

٣) وَيَدَعُوا النَّاسَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ".

وهذه ثلاثة عظيمة، إذا نهجها الإنسان دخل في علوم الحق وخرج من الجدل الباطل.

فالأولى هي: تعلم السنة، والثانية هي: تعلم القرآن، وتسأل عن هذا وتسأل عن هذا، والأمر الثالث: لا تخوض فيما ليس لك، دع الناس إلا من خير، يا تأمرهم بالخير يا تتركهم، وهذا عبدالله ابن عون الإمام القدوة، عالم البصرة المزني الحافظ.

وقد قال ابن المبارك: "ما رأيت أحد أفضل من ابن عون".

على كل حال المقصود الآن أنك لا تعرض نفسك وإيمانك للمجادلات بالباطل، إنما تعلم علوم الرسل وتصل بهذه العلوم إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل، إذا كنت من أهلها، وإذا كنت لست من أهله فعليك بالعناية بما ينفعك.

يقول الله عزّ وجلّ في شأن عقوبتهم: **{فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ} إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع. {وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} حيث تجرؤوا على معاصيه**، والله أمرنا أن نطيع الله ونطيع رسوله، فتجرؤوا على المعاصي وعصوا رسوله، ولم يستجيبوا لله، وخانوا الله.

حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. ولم يكونوا من أهل التقوى. إذن كل الناس لهم نصيبهم من الدنيا، كل الناس لهم حظهم من الدنيا ولهم حظهم من العلوم، لكن ماذا فعلوا بها؟ لا تكن مثل من استمتع بخلاقه استمتاع لا يرضي الله، إنما كن من أهل الايمان الذين يستمتعون بنصيبهم وما خولوا من الدنيا على وجه الاستعانة به على طاعة الله، واجعل علمك هو أن تسأل على هذه السنة وتسأل عن هذا الكتاب، وتترك الناس من شرك، ولا تجادل للباطل لمجرد الانتصار لرأيك، ولا تخوض مع الذين خاضوا {وخضتم كالذي خاضوا}، لا تخوض فتكون شبيه بالمنافقين.

إذن هؤلاء المنافقين يأمرون بالمنكر ، ينهون عن المعروف، يقبضون أيدهم، نسوا الله، استمتعوا بخلاقهم في الدنيا على وجه اللذة، خاضوا في العلوم وتكلموا فيما لا يعنيهم ولا يعرفونه.

ومن الخوض اليوم: إرسال ما تدرك معناه وما لا تدرك، نقل هذه البريدات الالكترونية أو الرسائل النصية أو بأي وسيلة من الوسائل، تنقل فيها ما تدرك وما لا تدرك! لا تخوض فيما لا يعنيك فينقص إيمانك وتدخل مع المنافقين.

ثم يقول الله بعد أن ذكر المنافقين قال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وهذا في مقابلة المنافقين.

لما ذكر أن المنافقين بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والحمد لله.

ووصفهم بضدّ ما وصف به المنافقين، فقال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} أي: ذكورهم وإناثهم {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة. فالمؤمنون يحبون بعض لأنهم يحبون الله، فأنت ترى مصليًا في الطريق، أو ترى تاليًا للقرآن، أو تنظر للمسلمين في الحرم وهم يقرؤون، فتجد

في قلبك ولاء لهم، حبّ من بعيد، تسمع عن طيبين نشروا الخير، تسمع عن أناس بذلوا أموالهم لنصرة الخير، تسمع عن مجاهدين في سبيل الله صدقوا في جهادهم، تسمع من تاريخ الأمة عن صادقين رفع الله شأنهم، فتجد في قلبك حب للبخاري لمسلم للترمذي، تجد في قلبك حب للمؤمنين سواء كانوا معاصرين أو من سبقوك، وتواليهم وتنتمي إليهم، وتنصرهم على الحق، من أهم صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف.

{يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، هذا أول ما يعتنون به، ويتناصحون أن اعتقد في الله كذا، توكل على الله، ثق بالله، ادعو الله، ارجو الله، هذه فتن هذه اختبارات الله يختبرك، فيأمر بعضهم بعض بالمعروف والمعروف أوله العقائد الحسنة. **والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.**

ثم أنهم ليسوا مثل اليهود يأمرون غيرهم ولا يأمرون نفسهم، يقول الشيخ:

وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، فهم يأمرون أنفسهم بالمعروف ويأمرون غيرهم.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة. وهذا من فضل الله أن بيّن لنا العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة وأصبح المؤمنين ينهى بعضهم بعضًا عن هذا، فلا تأمرهم بالعوائد التي اعتادوا عليها الناس، إنما كل عادة من العادات اعرضها على الشريعة، فإن كانت لا تخالفه فلا بأس، لكن إن كانت تخالف الشريعة فلا تأمرهم بعوائدك وبما اعتدت عليه، فإن هذا حال أهل الإلف، إنما اءمرهم بما أمر الله.

إذن صفتهم أنهم بعضهم أولياء بعض، ويأمرون بالمعروف، **{وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي: لا يزالون ملازمين لطاعة اللّه ورسوله على الدوام.**

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} أي: يدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه. إنها اعظم نتيجة يتصف بها المؤمنين، إنها أعظم نتيجة يصل إليها المؤمنين إذا اتصفوا بهذه الصفات وتبرؤوا من الصفات التي مضت.

فكل من كان طامعًا في الرحمة فليوالي بالمؤمنين، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، وليطيع الله، ويتبرأ من صفات المنافقين.

{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به. إذن من عزّته سبحانه وتعالى وقوّته: أن يضع الأمور في مواضعها، ولا يستطيع أحد وهو العزيز أن يردّ رحمته عن هؤلاء المؤمنين الذين ائتمروا بأمره، كما أن الله عزّ وجلّ يضع الأمور في مواضعها.

ثم ذكر ما أعد اللّه لهم من الثواب فقال: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} وهذه الجنات العظيمة تكلم فيها الشيخ في كلام تفصيلي جميل، ملخصه: أن هؤلاء المؤمنين وعدهم الله وعد صدق وأنهم سيكونون في هذه الجنات في نعيم، وتسكن نفوسهم {ومساكن طيبة} تسكن نفوسهم فيها، فنسأل الله عزّ وجلّ أن نكون من أهل جنات النعيم.

أنصحكم أن تقرؤوا كلامه الذي وصف فيه الجنة جزاه الله خيرا عنا وعن المسلمين.